طوينا »ذاكرة الصحافة المغربية» التي ستصدر في كتاب، لنحلق بعيدا في رحاب نفس القطاع، ولكن مع الاختلاف في كون السفر الأول كان في الزمان، رجوعا إلى ماضي المؤسسين، وهذا السفر الثاني هو سفر في المكان بحثا عن بروفايلات ومسارات الصحافيين المغاربة العاملين بالخارج. هم كثر يعدون بالمئات، متألقون، حيث يشتغلون في القارات الأربع وفي أكبر المؤسسات الإعلامية عبر العالم، منهم المدير والمسؤول ورئيس التحرير وكبير المراسلين، ومنهم المحرر والمراسل الحربي والمحلل، لهم حكايات وقصص ومغامرات تستحق أن تروى لتكون شاهدا على أن السؤال الذي نطرحه هنا يبقى مشروعاً: لماذا توجد أنفس الكفاءات الصحافية في الخارج والإعلام هنا في الوطن يئن؟ الجواب في ثنايا هذه الشهادات لكتاب التاريخ اليومي بأقلام سفراء المملكة الشريفة.

العدد: 627 □ 17 – 23 يوليوز 2014

رشيد مرزاق صحافي بمجلة «ناشيونال جيوغرافيك»:

من هواية قص المواد الصحافية إلى عملاق الصناعة الوثائقية

تشبه قصة رشيد مرزاق قصص العديد من الزملاء الذين حلوا ضيوفا على هذه الزاوية من حيث عشق الصحافة في البداية، وتعثر الزواج بها طبيعيا عن طريق ولوج معهد متخصص لدراستها، وانتهاء بلقاء بالمعشوقة بعد صبر جميل في مهن أخرى وتخصص آخر. هو أيضا درس الإنجليزية وولج معهد الترجمة بطنجة ومارس التدريس قبل الهجرة إلى الإمارات والتواجد بعد ذلك في أحضان مجلة "ناشيونال جيوغرافيك" الرائدة.

حاوره: عبد الإله سخير
sakhir72@gmail.com

رشيد مرزاق في مكتبه بمقر المجلة أثناء العمل في عام 2014

← كان دخولك إلى قصر صاحبة الجلالة عبر بوابة الترجمة، كيف أغرمت بهذه المهنة؟

■ قصة هذا الحب.. من أول قراءة. اشتعل شغفي بعالم الصحافة منذ كنت تلميذا في مرحلة الثانوي بمسقط رأسي بمدينة ابن جرير في أواسط تسعينيات القرن الماضي؛ آنذاك «ابتليت» بهواية قصّ المواد الصحافية من الصحف والمجلات، فكنت أجمعها وأصنفها في ملفات حسب مجالات كل منها. ووجدتني ألتهم كل ما يقع بين يدي من منشورات وأحفظ أسماء الصحافيين والكتاب وأميّز بين أساليبهم المتنوعة. وهكذا هوى فؤادي إلى الصحافة وبدأت نار طموحي تشتعل، إذ كانت تغذيها الإعلانات والملصقات التوجيهية التي كانت تملأ سبورة الإعلانات بالثانوية وتحث التلاميذ على الالتحاق بالمعهد العالي للإعلام والاتصال.

لكن بعد نيلي شهادة البكالوريا بدأ شغفي بدراسة الصحافة يلقى منافسة شديدة من قبل عشقي الكبير للغة الإنجليزية، إذ كنت متفوقا في هذه المادة إلى حد جعل أساتذتي آنذاك يوجهونني إلى التخصص فيها بالجامعة. كما واجهت «تحريضا» شديدا من لدن بعض أصدقائي المقربين الذين كانوا ينفرونني من «برودة» الرباط ويزيّنون لي دفء الحياة الجامعية بمدينة مراكش القريبة من ابن جرير.

← ما هي قصتك مع المعهد العالي للإعلام والصحافة؟ وكيف غيرت ميولك إلى شعبة الإنجليزية؟

■ ومع ذلك، وفي خلسة من الجميع، تابطت شهادتي وكشف النقط وحزمة أخرى من الوثائق وقصدت مدينة العرفان في الرباط حيث المعهد العالي للإعلام والاتصال. كان ذلك في صيف عام 1996. تم قبولي للتو بعد الاطلاع على ملفي، وقبل أن أحصل على استدعاء لاجتياز المباراة الكتابية، طلب مني أحد الموظفين أن أعطيه نسخة فقط من كشف النقاط وأحتفظ بالأصل «لأنه مستند مهم ويجب أن يبقى في حوزة صاحبه». قلت له إني لا أتوفر على نسخة ولا مانع لدي من أن يأخذ الأصل. طلب إلي الرجل، بأسلوب غير لائق، أن أقصد محلا للنسخ وأعود إليه بالورقة المطلوبة؛ عندها بدأت جينات العناد والعصيان «الرحمانية» تسري في جسدي، فما كان مني إلا أن شنّفت أسماعه ببعض الكلمات ثم استقللت الحافلة عائداً إلى محطة القطار ومنها إلى مراكش، حيث تسجلت في شعبة اللغة الإنجليزية بجامعة القاضي عياض.

← عودتك للصحافة كانت من بوابة الترجمة، كيف كانت هذه البداية؟

■ بعد أربع سنين قضيتها طالباً بالجامعة -وليس بالمعهد العالي للإعلام والاتصال-، تابطت إجازتي ويممت وجهي تلقاء «مدرسة الملك فهد العليا للترجمة» بطنجة، في عام 2000. ومع أن هذه المؤسسة متخصصة في الترجمة أساسا، إلا أنها أقرب ما تكون إلى معهد للتكوين الصحافي، إذ يشتمل المنهاج الدراسي الذي يمتد سنتين مكثفتين على قواعد الترجمة وطرائقها وفنونها، فضلا عن تكوين رصين في فروع الصحافة المكتوبة كافة: تقنيات تحرير التقارير الإخبارية والريورتاجات والبورتريهات والاستطلاعات وقصاصات الأنباء وغيرها. أضف إلى ذلك مواد أخرى تثقيفية على جانب كبير من الأهمية مثل العلاقات الدولية والقانون الدولي وقضايا الساعة.

كان التكوين في المدرسة «شبه عسكري» من حيث الانضباط والصرامة، إذ لم يكن يُسمح لنا بالتأخر عن مواعيد الحصص ولو بدقائق قليلة، رغم بُعد المؤسسة عن مكان إقامة الطلبة، أما التغيب فكان من الكبائر. لكن ظروف التحصيل العلمي كانت متوفرة إلى أبعد الحدود، ولعل أبرزها هو العدد القليل للطلبة في كل شعبة (كنا 14 طالبا فقط في القسم الإنجليزي) وكذا المكتبة الجامعة المانعة وهيئة التدريس المتألقة من أساتذة مرموقين مثل الدكتور الطيّب بوتبقالت والدكتور علي أزرياح.

وجدير بالذكر أن العديد من خريجي هذه المدرسة يشتغل في منابر إعلامية عربية وعالمية مرموقة وذائعة الصيت، أذكر منهم -مثالا لا حصرا- الزميلة المتألقة منى بَا، مقدمة برنامج «أنا الشاهد» في قناة «بي بي سي»، وفؤاد البهجة في قناة «سكاي نيوز عربية»، وسعيد بوخفة في قناة «الجزيرة»، فضلا عن عدد كبير من الزملاء العاملين بوكالة المغرب العربي للأنباء وبالصحف الوطنية.

← تغير مسارك مجددا والتحقت بمهنة التدريس، صف لنا ظروف هذا التغيير الاضطراري؟

■ بعد شهرين فقط على نيلي درجة الماجستير في الترجمة وتقنيات التحرير في صيف عام 2002، شاءت الأقدار -وربما التسرع- أن أحلق بعيدا عن سماء الترجمة والإعلام.. ليبقى الحلم الصحافي مؤجلا حتى إشعار آخر! ذلك أنني التحقت بـ»المدرسة العليا للأساتذة» بالرباط تحت ضغط من عائلتي.. خوفا علي من براثن البطالة. بعد انقضاء عام التكوين بالمدرسة في مدينة الرباط، عُيّنت أستاذا لمادة الإنجليزية بثانوية وحيدة في قرية نائية بالجنوب المغربي تدعى «تغجيجت»، حيث قضيت سنتين قبل أن أنتقل بضربة حظ نادرة إلى ثانوية أخرى بإقليم شيشاوة. مكثت في هذه المؤسسة ثلاث سنوات.. ستكون هي الأخيرة.

← اشتغلت متعاونا مع عدد من المنابر الصحفية المغربية، كيف مرت هذه التجربة الإعلامية العابرة؟

■ خلال تلك السنين الثلاث في شيشاوة، حيث كنت أعمل مترجما حرا كذلك، اشتغلت متعاوناً مع «موروكو تايمز»، أول صحيفة إلكترونية ناطقة باللغة الإنجليزية في المغرب (أطلقت في عام 2004). كنت أنجز مواد إخبارية محلية من بلاغات صحافية مكتوبة في الأصل بالفرنسية أو العربية ثم أرسلها للتو بالبريد الإلكتروني. وكم كنت أفرح حين أرى المواد المنشورة موقعة باسمي في موقع الصحيفة الإلكتروني. دامت التجربة عاما واحدا فقط، إذ في الوقت الذي كنت فيه أفكر بركوب مغامرة ترك مجال التعليم والالتحاق بتلك الصحيفة التابعة لمجموعة «ماروك سوار»، أغلقت إلى غير رجعة في عام 2006.. ليؤجّل الحلم الصحافي تارة أخرى!

← كيف جاءتك فكرة السفر إلى الخارج وبالتالي الاشتغال في ناشيونال جيوغرافيك؟

■ لم أفقد عزمي قط.. شيء ما بداخلي كان يخبرني أنني لن أقضي عمري كله في هذه المهنة. فقد كنت أعرف تمام المعرفة أنني لم أخلق لأكون أستاذا.. إحساس ما كان يبشرني باقتراب موعد الرحيل.. وكذلك كان. ففي صبيحة يوم من أيام شتنبر عام 2008 إذ كنت أهمّ بدخول قاعة الدرس، رنّ هاتفي المحمول فإذا به صديق قديم من خريجي مدرسة فهد، يعرض علي فرصة عمل بجامعة حرة مرموقة في دولة الإمارات. أصخت إليه السمع بعناية وهو يشرح لي طبيعة المهام المهنية ويعدد لي مزايا العيش والعمل في هذا البلد الخليجي البعيد.

زلزل كياني وأحسست بشعور تمتزج فيه فرحة الخلاص بهواجس المجهول. وعلى مدى ثلاثة شهور أو يزيد غصت في بحر من التفكير والاستشارة والاستخارة والحيرة والتردد، إذ كان لسان حالي يقول: من ذا الذي يترك وظيفة «مع الدولة» ويطير إلى المجهول! ولكنه كان ما يلبث أن يعود إلى رشده فيقول: ومن ذا الذي يقنع بالعيش في قفص فسيح وهو القادر على التحليق في عنان السماء!

ولمّا انتشر نبأ قراري النهائي بالرحيل بين معارفي وأصدقائي المقربين، وخوفا على مصير عائلتيَ الكبيرة والصغيرة من بعدي، راح بعض الظرفاء يشيرون عليّ باستغلال ثغرات تشريعية (أنا أسميه النصب والاحتيال) مثل الحصول على الاستيداع (Mise en disponibilité) القابل للتجديد سنوياً كما فعل العديد من قبلي. لكنني رفضت أن أتحول إلى شبح. لم أقدم استقالتي لأنني كنت لم أف بعد بالالتزام بالعمل 8 سنوات في الوَظيفة العمومية. وهكذا حرقت مراكب التعليم حتى لا أفكر في العودة إلى شاطئه.. ثم رحلت.

← هل ندمت على مغادرتك لمهنة التعليم؟

■ لم أندم قط، ولن أندم أبداً على مغادرتي مهنة التعليم؛ فلقد خرجت منها خاوي الوفاض.. ماديا على الأقل. وكنت أحس بالغبن وأنا أشتغل جنبا إلى جنب أشخاص حاصلين على شهادة أدنى من شهادتي ويتقاضون مثل راتبي، بل أكثر منه لدى بعض الحالات، وأنا الذي أنفقت

مع فريق المجلة أثناء الاستعداد لإصدار العدد التجريبي من المجلة في عام 2010

سنتين إضافيتين من عمري في التحصيل الدراسي. زاد من تذمري وإحباطي رفض إدراجي مباشرة في السلم11 بناءً على شهادة الماجستير. كما لم أكن أقبل بالمنهجية العقيمة المُتبعة في الترقية، وفي مقدمتها مبدأ الأقدمية الذي لا يستند إلى معايير التميز والتفوق؛ وحتى نظام الترقية بالشهادات فإنه يمر عبر مسطرة تشبه الصراط، أما الترقية بالامتحانات المهنية فهي رهينة «كوطة» مفروضة ولا يُسمح باجتيازها إلا بعد مزاولة العمل 6 سنوات متواصلة. ولن أناقش ظروف ممارسة المهنة لأن ذلك حديث ذو شجون. إنها خمس سنوات أحسبها وقتا مستقطعا ضائعا من حياتي.. وأحتسب أجرها عند الله.

← عشت فترة الإحماء في جامعة عجمان، كيف شدك الحنين لمهنة الصحافة؟

■ تركت عائلتي في المغرب ورحلت وحيدا إلى الديار الإماراتية، حيث باشرت عملي في «جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا» قبل أسبوع واحد من عام 2009. كانت مهامي متنوعة ما بين ترجمة الوثائق المختلفة وتحرير الخطابات الرسمية وصياغة البيانات الصحافية وتدوين محاضر الاجتماعات، فضلا عن المهام الإدارية العادية. لكن رغم التحاق عائلتي الصغيرة بي بعد شهرين لا أكثر، سرعان ما تسرب إلي الملل من العمل الذي كان موصوما بالرتابة وكان يغلب عليه الطابع الإداري الصرف أكثر من كونه عملاً إعلاميا.

وهكذا، وبعد عام ونصف فقط، ضاق بي الجلباب المهني تارة أخرى، فقررت أن أترك الجامعة وأبحث عن آفاق أرحب حيث يمكنني ممارسة العمل الإعلامي الخالص.. دون سواه؛ لتبقى جامعة عجمان فترة استعداد وإحماء لأول عمل صحافي كامل الأوصاف سأقوم به في مساري المهني.

← ما هي قصة التحاقك بناشيونال جيوغرافيك؟

■ شددت الرحال إلى العاصمة أبوظبي لإجراء اختبار في الترجمة والتحرير من أجل الالتحاق بمجلة عالمية كانت قيد التأسيس، قيل لي إن إسمها «ناشيونال جيوغرافيك العربية». كتب لي النجاح، فصرت من مؤسسي هذه المجلة بإصدار أول عدد في أكتوبر من عام 2010. يتوزع محتوى المطبوعة ما بين مواد مترجمة من المجلة العالمية الأم (80٪) ومواد عربية محلية وإقليمية (20٪) نتولى إنتاجها داخل المجلة ونهدف من خلالها إلى إبراز الكنز الحضاري الذي تزخر به منطقتنا العربية. وتعنى «ناشيونال جيوغرافيك» عموماً باستكشاف الكون، أرضاً وبحراً وسماءً، فضلا عن حرصها الشديد على التحسيس بقضايا البيئة. وهي توزع في الدول العربية كافة وكذا في بريطانيا وباكستان.

← تحدث لنا عن تجربة عملك في هذه المؤسسة من الداخل، قربنا من ظروف الاشتغال داخل هذا العملاق الوثائقي، قربنا أكثر من عالم «ناشيونال جيوغرافيك»

■ كانت مهامي في العام الأول تقتصر على الترجمة والتدقيق الإملائي والنحوي وتجويد الأساليب. وبعد أن بدأنا ننتج المواد الخاصة بالمنطقة العربية، توسعت مهامي لتشمل إنجاز التحقيقات وتحرير النصوص بمختلف أنواعها. كان الأمر في البداية صعبا، إذ كان علينا إنتاج مواد عربية تستجيب بصورة كلية للمعايير الصحافية الدقيقة والصارمة التي تفرضها المجلة العالمية، بما فيها جودة الورق والطباعة. فقبل نشر أي تحقيق أو حتى مادة صغيرة، لا بد أن نبعث بها إلى طاقم التحرير المشرف على النسخ العالمية لمجلة «ناشيونال جيوغرافيك»، ثم نتوصل منهم بتوجيهات وملاحظات لا تهم فقط الجوانب التحريرية، بل حتى أصغر التفاصيل المتعلقة بالصور والرسوم البيانية وغيرها من الوسائل الإيضاحية.

مع مرور الأيام، بدأنا نطوّر أداءنا ونصقل مهاراتنا الصحافية بما يتناسب مع المعايير الاحترافية للمجلة العالمية. ومن جملة ما تعلمت –ومازلت أتعلم– إنجاز التحقيقات العلمية في قالب روائي سردي يزاوج بين اللغة الصحافية التقريرية والأسلوب الأدبي الشيق. كما عرفت مدى قداسة الصورة وأهميتها في توثيق ونجاح أي مادة صحافية، إذ صرت أدرك المغزى الحقيقي للمقولة الصينية «الصورة خير من ألف كلمة». فضلاً عن ذلك، تعلمت الكثير في مجال التنفيذ الفني والإخراج النهائي للمنشورات الصحافية، بما فيها النشر الرقمي.

وعلى صعيد الثقافة العامة، اكتسبت زخما كبيرا جدا من المعلومات في شتى مجالات المعرفة الإنسانية، من علم الآثار وعلم الفلك وعلم المحيطات إلى الجغرافيا السياسية وعالم البراري والحيوانات والبيئة. فنحن نحظى بالسبق في معرفة آخر ما توصل إليه العلم، بفضل المواد التي نترجمها؛ فكم من اكتشاف علمي أو أثري عرفناه بالتفصيل قبل نشره في منابر إعلامية أخرى بوقت طويل.

← ما هي ظروف العمل بالمجلة؟

■ لأن المجلة تصدر بصفة شهرية، فهي تتيح لنا العمل بمنأى عن ضغوط الوقت أو الإجهاد كما هو حال الصحف اليومية، مما يمنحنا هامشا كبيرا من الوقت للبحث والتوثيق والتجويد والإبداع، وسط أجواء مفعمة بالنشاط يسودها التآخي والتعاون والاستمتاع؛ فنحن فريق صغير من جنسيات عربية مختلفة ولا يتجاوز عددنا 5 أشخاص منهم رئيسة التحرير. ولذا فإننا نعامل بعضنا بعضاً كعائلة واحدة ونقوم بالعديد من النشاطات الترفيهية بصفة دورية، منها مثلا أننا عند إنهاء كل عدد وإرساله إلى المطبعة نذهب جميعا إلى مطعم جميل لتناول وجبة العشاء وقضاء وقت ممتع.

أنا أشتغل في المجلة منذ أربع سنوات، ولقد نشأت بيني وبين الإطار الذهبي لـ«ناشيونال جيوغرافيك» علاقة عشق أسطورية ولا أتصور أنني سأحب غير هذه المجلة مثلما أحببتها.. ففيها فتحت لي صاحبة الجلالة ذراعيها بكل رحابة فوجدتُني أعانقها بحرارة لم تزدها سخونة الخليج إلا قيظا وأجيجًا.. فما أجمل أن تقوم بعمل تستمتع به ثم تنال أجرا لقاء استمتاعك!

جدير بالذكر أن مجلة «ناشيونال جيوغرافيك» هي إحدى إصدارات الشركة العملاقة «أبوظبي للإعلام» التي تصدر أيضا صحيفة «الاتحاد» (يعمل فيها ثلاثة زملاء مغاربة هم لكبيرة التونسي وزهير كساب ومحمد وقيف) وصحيفة «ذا ناشونال» (يعمل بها الزميل عبد الحفيظ زويتني) ومجلة «زهرة الخليج» (تعمل بها الزميلة سناء ثابت) ومجلة الأطفال «ماجد». وبفضل عملنا تحت سقف المؤسسة نفسها، إذ لا تفصلنا عن بعضنا بعضاً سوى أمتار قليلة، فإننا عادة ما نلتقي لنتبادل أطراف الحديث، ولو للحظات عابرة.. لكنها دائما جميلة.

← هل تستحضر طرائف ولحظات للذكرى؟

■ داخل مطار محمد الخامس، كانت تلك أول مرة أسافر فيها بالطائرة، حينما وصلت إلى المطار قبل الإقلاع إلى الإمارات بربع ساعة تحديدا، وبالطبع فقد وجدت المرفق الخاص بتسجيل الأمتعة مغلقا، إذ كان جميع الركاب قد استقروا في مقاعدهم، لم يخبرني أحد من قبل أن علي الحضور قبل ساعتين إلى المطار، كما لم أطلع جيدا على التذكرة الإلكترونية التي أرسلتها إلي جامعة عجمان.. ربما كنت أظن أن الأمر يشبه السفر بالقطار من ابن جرير إلى مراكش. المهم، وبدل أن أتوتر أو أرتبك، غمرني شعور غريب بالارتياح والسكينة. تسمّرت في مكاني ولم أحدث أو أتوسل إلى أي مسؤول بالمطار، بل كنت أقول في نفسي «الحمد لله الذي ربما نجّاني من عواقب هذه المغامرة». عندها بدأ أخي الأصغر يهدئ من روعي ظنًا منه أنني مصدوم، فقلت له بالحرف «لَهْلا يْسهّل قْبُوها». فجأة، ظهر أحد الموظفين واستلم جواز سفري وأمتعتي ثم قام بالإجراءات المعتادة وأخذني إلى حيث مدرج الطائرة. عندئذ، وبدل أن أفرح، عاد إلي التوتر واستحضرت جميع السيناريوهات السيئة.. ولم أستعد رباطة جاشي إلا بالابتسامات العريضة التي كانت توزعها المضيفات الحسناوات على الركاب ونحن في السماء.

طريفة أخرى بجامعة عجمان ..في الشهور الأولى لعملي بجامعة عجمان، كنا نحضر للاجتماع التأسيسي لمجلس الأمناء، وكان ذلك أول حدث رفيع المستوى في تاريخ الجامعة. كنت ضمن فريق مغربي لصياغة الدعوات والوثائق الخاصة بالاجتماع، والتي كُلفت شخصيا بإرسالها إلى أعضاء المجلس، وهم مسؤولون وعلماء عرب رفيعو المستوى من داخل الدولة وخارجها. المشكلة أنني وعلى طريقة «مستر بن»، قمت بإنتاج نسخ رديئة للوثائق على ورق لا يليق بمقام الأعضاء المدعوين، ومن ثم أرسلتها جميعا عبر شركة إرساليات دولية. ولحسن الحظ تم إنقاذ الوضع –وإنقاذي أنا أيضا– بفضل زميلين مغربيين، إذ أجريا العديد من الاتصالات «السرية» بشركة الإرساليات.. فتم استرجاع الطرود البريدية من داخل الطائرة قبل إقلاعها بوقت وجيز.. في مهمة شبه مستحيلة.

ومازلت أدين لهذين الصديقين بالشكر والعرفان لإنقاذي من كارثة كانت من دون شك ستعصف بمستقبلي.

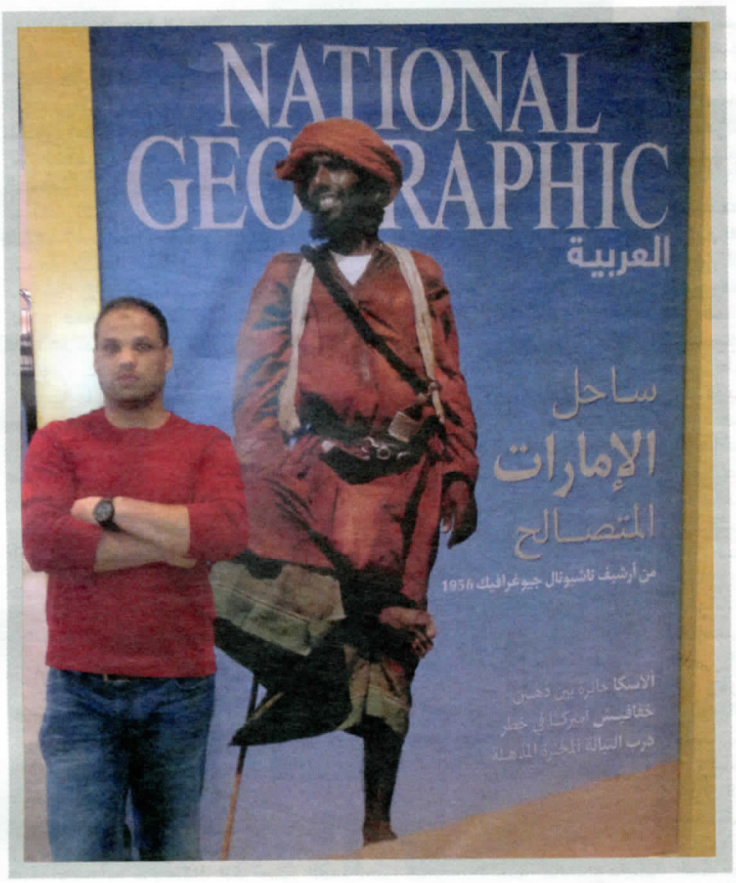

في الذكرى الثالثة لإصدار مجلة ناشيونال جيوغرافيك العربية

في صورة تذكارية مع فريق المجلة عام 2013